

باحث اسلامي ايراني : يجب أن نتفق على المبادئ الأخلاقية ونلتزم بها كي لا نواجه صراعاً فكرياً



أكد رئيس وحدة الدراسات الإسلامية بمركز العلوم الثقافي في إيران "آية الله" الدكتور السيد مصطفى محقق داماد، أنه "يجب علينا نحن المسلمون بأن نتفق على المبادئ الأخلاقية ونلتزم بها كي لا نواجه صراعاً فكرياً فيما بيننا .. ونكوّن اتحاداً متكاملًا ونؤكد على التعايش السلمي، ونكون معلم الأخلاق في عالم يخلو من الأخلاق والقيم الإنسانية".

وفي مقاله خلال المؤتمر الافتراضي الدولي الـ 37 للوحدة الإسلامية، وجّه "آية الله" الدكتور السيد مصطفى محقق داماد شكره وتقديره للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية على توجيه دعوة له بالمشاركة في هذا المؤتمر الذي اقيم تحت شعار "التعاون الإسلامي من أجل بلوره القيم المشتركة".

وفي ما يلي نص المقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الموضوع الذي أريد التطرق إليه هو المبادئ الأخلاقية العالمية المرتبطة بالمجمع العالمي للتقريب

بين المذاهب والأديان. فالمحور والمبدأ للأديان الإلهية هو صناعة الإنسان، لكن ثمة فرق بين الأديان والمدارس التربوية غير الدينية وهو أن تربية الإنسان في المدارس التربوية قائم على أساس صناعة الإنسان في المجتمع ودراسة تأثره من التقاليد الاجتماعية. في حين أن الأديان الإلهية تركّز في تربية الإنسان على معرفة الكون، كما تركّز على الجوانب الفردية والاجتماعية معاً في معرفة الإنسان وتربيته. ففي الجانب الفردي يتربّى الإنسان على أساس التربية الإلهية وتتمركز حياته حباً وعبادته. أما من الناحية الاجتماعية فهو يرى نفسه جزءاً من الكائنات والكينونة اللامتناهية. لهذا لم تنظر إلى هذا الكون نظرة التلذذ والإمتاع ولا يتخذه وسيلة لأطماعه وأهدافه.

إن النظر إلى الكون من الناحية الدينية واتحاد الكينونة له آثار تربوية وأخلاقية جمّة. ففي هذه النظرة لم ير الناس أنفسهم كنفس واحدة، وإنما يرون العالم الطبيعي أيضاً كجزء منهم وليس منفصلاً عنهم. ولهذا يتصالح الإنسان مع الطبيعة ولا ينشب أظفاره في هذا المجال الإلهي. أما القرآن فقد نجد المعرفة الإلهية والأخلاق البشرية والاجتماعية ممزوجة ببعضها بصورة لا يمكن التمييز بينها. مثلاً تقول الآية 36 من سورة النساء: "وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا" وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَالْإِنْسَانِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا".

نلاحظ كيف تأمر هذه الآية الإنسان وإلى جانب المعرفة الإلهية، أن يُحسن إلى ذوي القربى، والمساكين، والجار ذو القربى، والجار ذو الجنب أي القاصي والداني، وأن يكرم القريب والبعيد، لكن ما هي المبادئ الأخلاقية العالمية؟ فقد ذكر القرآن مراراً وتكراراً المبادئ الأخلاقية العالمية. وفي موضع منه يطلق عنواناً رائعاً وهي الحكمة. لكن قبل أن أقرأ هذه الآية على مسامعكم الكريمة. من الضروري الإشارة إلى هذه النقطة وهي أن القرآن الكريم وصف الرسول الأكرم بحامل الكتاب والحكمة. وهذا الوصف يأتي بسبب دعاء النبي إبراهيم سيد الأنبياء وأبو الأديان التوحيدية الذي يقول القرآن عن لسانه: "رَبِّ زَنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ" يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (البقرة: 129)

وقد استُجيب هذا الدعاء بحق النبي عيسى والرسول الأكرم. ولهذا بناء على هذا الدعاء يقول عن عيسى (ع): "قَالَ رَبِّ أَنْزِلْ لِي وَلَدًا وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بِشَرٍّ" قَالَ كَذَلِكَ لِلَّهِ أَنْ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ" إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّهُ يَخُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ / وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. (آل عمران: 48)

أما عن النبي الأكرم فقد يقول: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ

كانوا من قَلِيلٍ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ".

وفي سورة الإسراء بعد أن يذكر القرآن إثني عشر أمراً أخلاقياً يوصي الإنسان بالالتزام بها ويقول: "ذَلِكَ لِيُكَفِّرَ عَنْكَ سَيِّئَاتِكَ وَأَلِيكَ الْآخِرَةُ مِنَ الْآخِرَةِ".

أن هذه الأحكام من الحكم التي أوحاها ربنا للرسول الأكرم. فقد تقول الآية الكريمة صراحة أن هذه التعاليم من الحكمة، ثم تقول: ذلك من ما أوحى عليك ربك من الحكمة.

إذن يقول القرآن للرسول الأكرم بأنك مأمور بتعليم هذه الحكمة وكتاب الله وأوجب الله عليك تربية الإنسان وتعليم القيم الأخلاقية التي أوحاها ربك ولا تفرط في أي منها ولا تجعل مع الله إلهاً غيره. يبدو أن المقصود من الحكمة هي الأصول التي يحكم بها العقل بغض النظر عن تعاليم الشريعة. وقد يرى حكماء الإسلام أن المبادئ الأخلاقية هي اقتضاء العقل العملي وأطلقوا عنوان الحكمة العملية عليها. لهذا ما أريد قوله هو بما أننا أتباع الأديان الإلهية، يجب أن نتفق على مجموع هذه المبادئ الأخلاقية ونلتزم بها. حينها لم نواجه صراعاً فكرياً بيننا فحسب، بل يمكن أن تبلور هذه الأديان مجموعة قيم ومبادئ أخلاقية ونكون اتحاداً متكاملًا ونؤكد على التعايش السلمي، وأن نكون معلم الأخلاق في عالم يخلو من الأخلاق والقيم الإنسانية.

فقد يعاني العالم المعاصر من الانحلال الأخلاقي، وأول خطوة في الأخلاق هي الإحترام المتبادل، فقد وضعت المسيحية منظومتها الأخلاقية بناء على تعاليم السيد المسيح (ع) التي تؤكد على الإحترام والحب. ويجب علينا نحن كمسلمين أن ننتبه إلى أن نص القرآن لم يورد هذه المفردة وحدها، بل كلمة أخرى وردت في النص أكثر تأكيداً وهي "المودة" فقد عُدَّت المودة في العرفان الإسلامي كإحدى الأسماء الحسنى وأحد أسماء الله هو "الودود" الذي ورد في القرآن الكريم في سورة هود وفي قوله تعالى: "وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ" إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ".

أن الودود بصيغة المبالغة وردت في القرآن لتقول لنا أننا عباد الله يجب علينا أن نمحور حياتنا حول محور الود. ودَّ الآخر واکرامه، ودَّ الجار القريب والبعيد، ودَّ المواطن، ومن يشاركنا في اللغة، والعرق، واللون، والإنسانية، وكل ما يجمع الناس في عالم الود والإحترام. فالودود أمرنا بهذا الإجلال والإكرام وأن ننسجم كل شؤون حياتنا بالمودة وأن نضع المودة المحور الذي يتمحور حوله أتباع جميع الأديان والمذاهب.